مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية
ISSN: 2170-1822,
EISSN: 2600-6189

مجلد: 13 عدد 01 جوان 2022
العنوان: العلاقات السياسية الدانشمندية السلجوقية خلال عهد الأمير أحمد دانشمند غازي 477 – 499 ه. ص.ص 408 - 430.

العلاقات السياسية الدانشمندية السلجوقية خلال عهد الأمير أحمد دانشمند غازي (477-499هـ/ 1085-1105م)

عبد الرحمان بن خالد

مخبر المخطوطات، جامعة الجزائر 2 – أبو القاسم سعد الله –

abderahmanbenkhaled92@gmail.com

تاريخ الإرسال: 03/ 07/ 2020؛ تاريخ القبول: 28/ 04/ 2022

The Danishmend-Seljuk political relations during the reign of Emir Danishmend Ahmad Ghazi (477-499H/1085-1105AD)

Abstract:

The success of the Turkmen Emir Danishmend Ahmad Ghazi in the establishment of an independent emirate from the Seljuk Sultanate of Rûm in Anatolia (477H/1085AD), which was known as the Danishmendid Emirate, formed a landmark event in the history of the region. This is due to the effective role played by the emirate in the conflict between the forces of Anatolia (the Byzantines, the Seljuks of Rûm, the Armenians ...) on the one hand, and between the Muslims and the Crusaders as they invaded Anatolia moving towards the Holy Land on the other.

Through the following study, we will try to explain how Emir Danishmend Ahmad Ghazi was able to seize some of the Byzantines property in Anatolia and establish an independent emirate that took Sivas as its capital. Afterwards,

we will show the nature of Danishmend-Seljuk political relations during the reign of this Emir, as they are the two largest Islamic forces within Anatolia in that period, and their efforts in facing the dangers that nowadays threaten the Islamic world, such as the Byzantines and the Crusaders.

Keywords: Danishmendid Emirate; Seljuks of Rûm; Anatolia; Danishmend Ahmad Ghazi; Sivas.

الملخص:

شكّل نجاح الأمير التركماني أحمد دانشمند غازي في تأسيس إمارة مستقلة عن سلطنة سلاجقة الروم في الأناضول سنة 477هـ/ 1085م والتي عرفت باسم الإمارة الدانشمندية حدثًا بارزاً في تاريخ المنطقة، وذلك نظرًا للدور الفعّال الذي لعبته الإمارة في الصراع القائم بين قوى الأناضول (البيزنطيين، سلاجقة الروم، الأرمن...) من جهة، وبين المسلمين والصليبيين أثناء اجتياحهم الأناضول باتجاه الأراضي المقدسة من جهة أخرى.

وسنحاول من خلال هذه الدراسة توضيح كيفية تمكن الأمير أحمد دانشمند غازي من الإستيلاء على بعض ممتلكات البيزنطيين في الأناضول وتأسيس إمارة مستقلة اتخذت من مدينة سيواس عاصمة لها، ثم سنبيّن طبيعة العلاقات السياسية الدانشمندية السلجوقية خلال عهد هذا الأمير باعتبارهما أكبر قوتين إسلاميتين داخل الأناضول في تلك الفترة، وجهودهما في مواجهة الأخطار التي باتت تهدد العالم الإسلامي على غرار البيزنطيين والصليبيين.

الكلمات المفتاحية: الإمارة الدانشمندية؛ سلاجقة الروم؛ الأناضول؛ أحمد دانشمند غازي؛ سيواس.

مقدمة:

عقب انتصار السلاجقة الأتراك على البيزنطيين في معركة مانزيكرت سنة 463هـ/ 1071م وسيطرة بعض القادة المشاركين فيها على أجزاء من الأناضول، تمكن أحمد دانشمند غازي من تأسيس إمارة تركمانية مستقلة في المنطقة عرفت باسم الإمارة الدانشمندية، وطوال فترة حكم هذا الأمير التي دامت حوالي عشرين سنة، قام بربط علاقات مع القوى المجاورة سواء الإسلامية منها أو غير الإسلامية.

وقد تناولت هذه الدراسة موضوع العلاقات السياسية بين الأمير أحمد دانشمند غازي والسلاجقة، لما له من أهمية بالغة خاصة إذا علمنا أن فترة حكم هذا الأمير تزامنت مع اجتياح أولى الحملات الصليبية للأناضول في طريقها نحو المشرق، حيث تطرقت إلى عدة إشكاليات تتمحور عمومًا حول: أصل الدانشمنديين وتأسيس الإمارة؟، طبيعة العلاقات التي نشأت بين الأمير أحمد دانشمند غازي والسلاجقة؟، إضافة إلى تبيان مدى مساهمة الطرفين في الوقوف في وجه البيزنطيين الذين لطالما سعوا إلى استرجاع المناطق التي فقدوها لصالح السلاجقة بعد مانزيكرت من جهة، وصد الخطر الصليبي الذي بات يهدد البلاد الإسلامية من جهة أخرى؟.

الإمارة الدانشمندية:

عبد الرحمان بن خالد
abderahmanbenkhaled92@gmail.com

مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية
ISSN: 2170-1822,
EISSN: 2600-6189
مجلد: 13 عدد 01 جوان 2022
العنوان: العلاقات السياسية الدانشمندية السلجوقية خلال عهد الأمير أحمد دانشمند غازي 477 – 499 ه.
ص.ص 408 - 430.

أصل الدانشمنديين:

ينتسب الدانشمنديون إلى كمشتكين أحمد دانشمند (أنظر التعليق رقم 1) أحد قادة السلطان السلجوقي ألب أرسلان (455-465هـ/ 1063-1072م) الذين اشتركوا معه في معركة مانزيكرت (أنظر التعليق رقم 2) (Miynat Ali, 2017: 99)، غير أن أصل الأسرة الدانشمندية ظل موضع جدال بين الباحثين، حيث ذكر بعضهم أنهم ترك نظرًا لصلة القرابة التي تربط بين هؤلاء وبين السلاجقة الأتراك، إذ كشف أحد الباحثين أن الأمير أحمد دانشمند غازي هو ابن أخت السلطان السلجوقي ملكشاه بن ألب أرسلان (465-485هـ/ 1072-1092م) وبالتالي فهو حفيد السلطان ألب أرسلان (المحيميد علي بن صالح، 1994: 21)، في حين ذكر آخر أن الأمير "توشتكين الدانشمند" هو خال سليمان بن قتلمش (470-479هـ/ 1077-1086م) مؤسس دولة سلاجقة الروم في الأناضول (أنظر التعليق رقم 3) (ابن الشحنة، 1984: 197).

وذكر البعض الآخر أنهم من أصل عربي، بدليل الوقفية التي كتبت في عهد أحد أحفاد الأمير دانشمند والتي تشير إلى أن نسب أحمد دانشمند يرجع إلى القائد العربي بطّال غازي (أنظر التعليق رقم 4)، غير أن أصحاب هذا الرأي أبدوا شكوكهم من هذا النسب، حيث ذكروا أن ربط الأمير أحمد دانشمند ببطل مشهور في الأناضول كسيد بطّال غازي

كان من أجل إثارة الشعور الديني في نفوس مسلمي الأناضول حتى ينضموا تحت لواء الإمارة الدانشمندية ولتقوية نفوذها في المنطقة (المحيميد علي بن صالح، 1994: 20-21).

فيما أشار آخرون إلى أن الدانشمنديين ينحدرون من الأسرة الأرشاكونية The Arsacids ذات الأصل الأرمني الفارسي (Niketas Choniates, 1984: 20).

اعتبارًا مما سبق فإننا نذهب مذهب الباحث المحيميد في ترجيح الرأي القائل بالأصل التركي للدانشمنديين، وذلك نظرًا لصلة القرابة التي تربط بين الدانشمنديين والسلاجقة من جهة، واتفاق معظم مؤرخي الحملة الصليبية الأولى (Foulcher de Chartres, 1825: 28; Raymond D'Agiles, 1824: 238; Albert D'Aix, 1824: 7) على وصفهم بالترك من جهة أخرى (المحيميد علي بن صالح، 1994: 24-25).

تأسيس الإمارة الدانشمندية:

اختلف المؤرخون كذلك في تحديد تاريخ تأسيس الإمارة الدانشمندية، حيث ظهرت في هذا الصدد عدة آراء أشار بعضها إلى أن تأسيس الإمارة الدانشمندية كان عقب انتصار السلاجقة في معركة مانزيكرت سنة 463هـ/ 1071م (Miynat Ali, 2017: 97) بعدما منح السلطان ألب أرسلان الأمراء التركمان المشاركين في المعركة الأراضي التي سيطروا عليها داخل الأناضول، ومن بينهم الأمير أحمد دانشمند غازي، غير أن بعض الباحثين اعتبروا هذا الرأي مجرد أسطورة كون

مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية
ISSN: 2170-1822, EISSN: 2600-6189
مجلد: 13 عدد 01 جوان 2022
العنوان: العلاقات السياسية الدانشمندية السلجوقية خلال عهد الأمير أحمد دانشمند غازي 477 – 499 ه.
ص.ص 408 - 430.

معظم الأسر التركية التي ظهرت في الأناضول كانت ترغب في أن يكون مبدأ ظهورها اعتبارًا من ذلك اليوم المشهود (Mélikoff Irène, 1960: 1: 72).

فيما ربط آخرون تأسيس الإمارة الدانشمندية بسنة 477هـ/ 1085م على اعتبار أنها السنة التي غزا فيها أحمد دانشمند بلاد كبادوكيا وحكم سيواس وقيصرية وبعض المناطق الأخرى في البلاد الشمالية (ابن العبري، 1986: 118؛ Michel le Syrien, 1905: 3: 173)، غير أن البعض الآخر ذكر أن الأمير أحمد دانشمند حاول تأسيس إمارة في الأناضول خلال سنوات الفوضى التي أعقبت وفاة سليمان بن قتلمش أول سلاطين سلاجقة الروم سنة 479هـ/ 1086م (Mélikoff Irène, 1960: 1: 71).

ويشير أحد الباحثين إلى أن رأي المؤرخ ميخائيل السرياني (توفي سنة 595هـ/ 1199م) الذي عاش في فترة زمنية قريبة جدًا من الفترة التي عاش فيها الأمير أحمد دانشمند غازي، يكتسي أهمية بالغة وسط كل تلك الروايات المتضاربة وبالتالي فهو الرأي الأقرب للصحة (المحيميد علي بن صالح، 1994: 35).

أما فيما يخص تأسيس الإمارة الدانشمندية فقد ذكر الباحثون أن الأمير أحمد دانشمند ودون أي مقاومة تذكر تمكن من دخول مدينة سيواس (أنظر التعليق رقم 5) بتدبير من حاكم مدينة توقات البيزنطي سيواستوس وذلك بعدما أخبره أنه أحد قادة الخلافة العباسية القادمين

مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية
ISSN: 2170-1822, EISSN: 2600-6189
مجلد: 13 عدد 01 جوان 2022
العنوان: العلاقات السياسية الدانشمندية السلجوقية خلال عهد الأمير أحمد دانشمند غازي 477 – 499 ه.
ص.ص 408 - 430.

من بلاد فارس، غير أنه وجدها في حالة خراب جراء الهجمات السلجوقية المتكررة عليها في عهد السلطان ألب أرسلان، إضافة إلى تعرضها للإحراق من طرف الإمبراطور البيزنطي رومانوس الرابع (460-464هـ/ 1067-1071م) - عندما كان متجهًا بجيشه نحو مانزيكرت - انتقامًا من سكانها الأرمن الذين انحازوا إلى جانب الأتراك المسلمين في بعض هجماتهم على الممتلكات البيزنطية، فقام بإعادة تعميرها وحصّن قلعتها وجعل منها قاعدة ينطلق منها الأتراك المسلمون إلى أعماق الأناضول، ثم بدأ يوسّع من حدود إمارته على حساب البيزنطيين في مدن كبادوكيا، فأحكم سيطرته على مدن عديدة مثل توقات، وكومانا، وأماسية، ونيكسار (المحيميد علي بن صالح، 1994: 37-44؛ Mélikoff Irène, 1960: 1: 71-72).

العلاقات السياسية بين الأمير أحمد دانشمند غازي والسلاجقة:

علاقات أحمد دانشمند غازي بالسلاجقة العظام:

إن جلّ ما توصلنا إليه من خلال المصادر التاريخية عن علاقات أحمد دانشمند غازي مؤسس الإمارة الدانشمندية في سيواس (أنظر التعليق رقم 6) مع السلاجقة العظام لا يتجاوز روايتان، إحداهما تلك التي تتحدث عن كون هذا الأخير أحد أمراء السلطان ألب أرسلان الذين شاركوا معه في معركة مانزيكرت، والأخرى تلك التي تذكر أن أحمد دانشمند هو ابن أخت السلطان السلجوقي ملكشاه أي حفيد السلطان ألب أرسلان واللّتين سبق أن أشرنا إليهما، وبالتالي فإن سكوت

المؤرخين عن هذا الموضوع يعود من وجهة نظرنا إما لغموض فترة الدراسة وقلة المصادر التي توثق أحداث تلك الحقبة من الزمن كما صرّح بذلك غير واحد (مؤلف مجهول، 2007: 2؛ لسترنج كي، 1985: 172)، أو لعدم وجود أي علاقات ربطت أحمد دانشمند غازي بعد تأسيس إمارته بالسلاجقة العظام أصلاً، نظرًا لبعد مقر حكمهم عن أملاك الدانشمنديين في الأناضول من جهة، وتكفّل سلاطين الدولة السلجوقية الرومية بتسيير شؤون المنطقة عوضًا عنهم من جهة أخرى.

علاقات أحمد دانشمند غازي بسلاجقة الروم:

رغم أن الأمير أحمد دانشمند غازي عاصر في مستهل فترة حكمه مؤسس دولة سلاجقة الروم السلطان سليمان بن قتلمش، إلا أننا لم نعثر في المصادر التي توصلنا إليها على أي إشارة لوجود علاقات ربطت بين الطرفين عدا الرواية التي أشرنا إليها سابقًا والتي تذكر أن الأمير أحمد دانشمند هو خال سليمان بن قتلمش (ابن الشحنة، 1984: 197).

هذا الأمر ينطبق كذلك على الفترة التي أعقبت وفاة مؤسس دولة سلاجقة الروم والتي شهدت نشوب نزاع بين الأمراء السلاجقة حول العرش الشاغر، ما تسبّب في دخول البلاد في حالة فوضى واضطراب (طقوش محمد سهيل، 2002: 69-72)، ويعود سبب سكوت المؤرخين عن ذكر تفاصيل ما جرى في هذه الفترة إلى تعذّر وجود كتب أرّخت لذلك العصر واستحالة الوثوق بأقوال النّقلة وأقاصيص السمّار لبعد عهدهم واختلاف رواياتهم (مؤلف مجهول، 2007: 2).

وعليه فقد أشار أحد الباحثين الأتراك (أنظر التعليق رقم 7) إلى أنّ أول اتصال جرى بين الأمير أحمد دانشمند غازي وسلاجقة الروم كان في عهد السلطان قلج أرسلان بن سليمان (485-500هـ/ 1092-1107م) (أنظر التعليق رقم 8)، وذلك عندما أرسل الأمير الدانشمندي سفيرًا إلى السلطان السلجوقي في قونية يستنجد به ويلتمس منه المعونة لصد هجوم قامت به القوات البيزنطية ضد مدينة سيواس، مقابل منحه امتيازات تمثلت في جزء من غنائم الحرب وتزويجه من ابنته والتنازل له عن مدينة أبلستين في حال تحقق النصر على البيزنطيين.

وبعد نهاية المعركة لصالح المسلمين وعودة الجيش السلجوقي إلى قونية، أرسل الأمير أحمد دانشمند إلى السلطان قلج أرسلان مبلغ مائة ألف درهم إضافة إلى رسالة طلب من خلالها مهلة من أجل أن يجهّز ابنته التي وعد السلطان بتزويجها إياه وذلك موازاة مع تسليمه مدينة أبلستين (المحيميد علي بن صالح، 1994: 103-104، 157-158).

غير أن موقف السلطان السلجوقي من رسالة الأمير الدانشمندي جاء على روايتين، إحداهما تذكر أن السلطان قلج أرسلان وبعد طول انتظار اكتشف أن الأمير أحمد دانشمند ليست له نية في الوفاء بوعده وأنه يبتغي مماطلته فقط، لهذا ومن أجل الإنتقام منه اغتنم فرصة مرضه فجهّز جيشه واستولى على مدينتي أبلستين وزبطرة بالقوة، غير أن سيطرته على المدينتين لم تدم طويلاً، فبمجرد تعافي الأمير الدانشمندي زحف بقواته نحوهما ليتمكن من استعادتهما دون قتال بعدما أمر السلطان جيشه

بالإنسحاب لإدراكه بأن لا طائلة له بالقوات الدانشمندية (المحيميد علي بن صالح، 1994: 104).

والأخرى تشير إلى أن السلطان قلج أرسلان غضب من الأمير أحمد دانشمند بعدما اطّلع على رسالته، وردّ عليه بأن أعاد له المبلغ الذي كان قد أرسله مرفقًا إياه بكتاب جاء فيه: "أنا ما جئت من أجل المال، ولكن جئت لحماية الإسلام، ولا حاجة لي بدرهم ولا دينار" (المحيميد علي بن صالح، 1994: 158).

ولو افترضنا أن السلطان قلج أرسلان لم يكن يرغب في الإستفادة من تلك الإمتيازات حسب الرواية الثانية، فلماذا لم يعبّر عن رفضه إياها بمجرد اطّلاعه على مضمون الرسالة الأولى – رسالة الإستغاثة – وتأخّر ردّه عليها إلى ما بعد الإنتصار على القوات البيزنطية ووصول الرسالة الثانية مع مبلغ المائة ألف درهم؟، ولماذا رضي بمساعدة الدانشمند فيما كانت تحوم حوله شبهة أنه قدّم تلك المساعدة من أجل المصلحة الشخصية، في حين كان بإمكانه أن يعبّر عن رفضه لوعود الدانشمند قبل أن يرسل جيشه حتى يبيّن صدق نيته في أن هدفه هو حماية الإسلام فقط؟، ولماذا قام بالإستيلاء على مدينتي أبلستين وزبطرة؟.

هذا الجو من التوتر الذي ساد العلاقات الدانشمندية السلجوقية استمر لسنوات أخرى، حيث تجدّد الصراع بين الأمير أحمد دانشمند والسلطان قلج أرسلان لكن هذه المرة حول مدينة ملطية (أنظر التعليق رقم 9)، وذلك عندما حاول هذا الأخير دخول المدينة التي كانت ترابط

بالقرب منها حامية دانشمندية (Mélikoff Irène, 1960: 1: 81)، حيث قام السلطان السلجوقي سنة 488هـ/ 1095م بعدما فرض حصارًا على ملطية بإرسال أحد زعمائه يدعى "الفارج Al-Faridj" كسفير للتفاوض من أجل تسليم المدينة للقوات السلجوقية، غير أن حاكمها جبريل الأرمني غدر بالسفير وقتله، فعيّن مكانه قائد آخر يدعى "تاويت Tawit" الذي قام بفرض حصار آخر على المدينة تمهيدًا للإستيلاء عليها، لكن وصول الأمير أحمد دانشمند قادمًا من سيواس حال دون ذلك، بعدما تمكن من إيجاد حل للأزمة عن طريق عقد صلح بين الطرفين، غير أن السلطان قلج أرسلان لم يسحب قواته من ملطية إلاّ بعدما وصلته أنباء بوصول الحملة الصليبية الأولى إلى الأناضول (ابن العبري، 1986: 122؛ Michel le Syrien, 1905: 3: 179).

وبذلك اتخذت العلاقات بين الأمير أحمد دانشمند والسلطان قلج أرسلان مسارًا جديدًا، غلّبت فيه المصلحة العليا التي تقتضي التجنّد من أجل رفع راية الدين والدفاع عن البلاد الإسلامية، على حساب الخلافات الشخصية والأطماع التوسعية.

حيث ذكرت المصادر أن السلطان قلج أرسلان وبعد سقوط مدينة نيقية بيد الصليبيين سنة 490هـ/ 1097م، اتفق مع الأمير أحمد دانشمند على ضرورة توحيد جهودهما لمواجهة الصليبيين أثناء اجتيازهم الأناضول باتجاه الأراضي المقدسة (العظيمي، 1984: 358)، فتشكلت لهذا الغرض جبهة تركية إسلامية ضمّت إضافة إلى القوات الدانشمندية

والسلجوقية قوات الأمير حسن (أحد أمراء كبادوكيا)، ليلتقي الجيشان الإسلامي والصليبي فوق سهل دوريليوم في نفس السنة، أين جرت معركة ضارية انتهت بانهزام المسلمين وتفوق الصليبيين (Foulcher de Chartres, 1825: 23-31; Raymond D'Agiles, 1824: 235-239; Anna Comnena, 2000: 194-196).

وقد كان لإخفاق التحالف الإسلامي في هذه المعركة تداعيات خطيرة على البلاد الإسلامية، إذ تمكن الصليبيون بعدها من الوصول إلى بلاد الشام وتأسيس إمارات صليبية في الرها وأنطاكية سنة 491هـ/ 1098م، ثم في بيت المقدس في السنة الموالية (ابن الأثير، 2003: 9: 13–20؛ ابن العديم، 1996: 237–245).

وبعد نحو سنتين من تأسيس إمارة أنطاكية الصليبية أي سنة 493هـ/ 1100م وقع أميرها الصليبي بوهيمند (أنظر التعليق رقم 10) أسيرًا بيد الأمير أحمد دانشمند غازي، وذلك على إثر تفوق هذا الأخير على القوات الصليبية في المواجهة التي جمعت بينهما على حدود مدينة ملطية، عندما زحف بوهيمند بقواته نحو المدينة استجابة لدعوات النجدة التي أرسلها له حاكمها جبريل الأرمني لتخليصها من الحصار الذي فرضته القوات الدانشمندية (ابن القلانسي، 1908: 137–138؛ Matthieu D'Edesse, 1858: 230-231).

وبهدف مواجهة الحملة اللومباردية التي كانت متجهة نحو مدينة نيكسار لتخليص بوهيمند من الأسر، استنجد السلطان قلج أرسلان بأمراء البلاد الإسلامية ومن بينهم الأمير أحمد دانشمند غازي، الذي لبّى

النداء وضمّ قواته إلى القوات السلجوقية للوقوف ضد العدوان الصليبي، فوقعت معركة بين الطرفين عند سهل أولوس Aulos – في ضواحي مدينة مرسيفان – سنة 494هـ/ 1101م انتهت بانتصار القوات الإسلامية ودحر الصليبيين (Matthieu D'Edesse, 1858: 243-244; Albert D'Aix, 1824: 7-14).

لم تلبث القوات الإسلامية أن استرجعت أنفاسها بعد المعركة حتى تفاجأت بوصول قوات صليبية جديدة إلى الأناضول، ما اضطر الدانشمنديين والسلاجقة إلى توحيد قواهما مرة أخرى والوقوف جنبًا إلى جنب لصد هذا الخطر، وعلى إثر ذلك وقعت في نفس السنة عدة معارك بين القوات الإسلامية من جهة ونظيرتها الصليبية من جهة أخرى، انتهت لصالح المسلمين شأنها في ذلك شأن الحملة اللومباردية. (Albert D'Aix, 1824: 26-36; Grousset René, 1934: 1: 329-332).

هذا الطابع الودي الذي اتّسمت به العلاقات الدانشمندية السلجوقية أثناء مواجهتهما للخطر الصليبي لم يدم طويلاً، فما لبث أن زال الخطر الذي كان سببًا في توحيد قواهما حتى تعكّرت الأجواء بين الطرفين من جديد، وذلك عقب قيام الأمير الدانشمندي بالهجوم على مدينة ملطية مستبقًا نظيره السلجوقي، ليتمكن من الظفر بها سنة 495هـ/ 1102م (ابن العبري، 1986: 126؛ Michel le Syrien, 1905: 3: 188).

ورغم ما تسببت به هذه الحادثة من توتر في العلاقات بين الدانشمنديين والسلاجقة إلاّ أن الأمير أحمد دانشمند غازي وبدل أن يعمل من أجل تهدئة الأوضاع أقدم على فعل آخر زاد من حدة التوتر بين الطرفين، حيث ذكرت المصادر أنه قام بإطلاق سراح بوهيمند سنة 496هـ/ 1103م مقابل فدية قدمها الصليبيون قدرت بمائة ألف دينار (Matthieu D'Edesse, 1858: 252)، تلك الحادثة التي وصفها ابن الأثير بأنها طمست المعالم التي بناها الدانشمند حتى ذلك الوقت (ابن الأثير، 2003: 9: 56).

وكتعبير من السلطان قلج أرسلان عن استيائه من هذا القرار الذي لم يأخذ أحمد دانشمند رأيه فيه على الرغم من كونه سلطانًا على الأناضول من جهة، وشريكًا للدانشمند في جهاده ضد الصليبيين من جهة أخرى، بعث له رسالة جاء فيها: "أخي الدانشمند، يا من هو من أبناء الترك، لقد كنت معينًا لي في انتصارات الترك حتى اليوم، ولكنك الآن فقدت اسمك وشهرتك لأنك أطلقت سراح بوهيمند أشد النصارى خطرًا مقابل حفنة من النقود دون أن تستشيرني" (الحميد علي بن صالح، 1994: 158).

وفي نفس السياق زعم بعض الباحثين أن السلطان قلج أرسلان لما وصلته أنباء المفاوضات التي كان يجريها أحمد دانشمند مع الإمبراطور البيزنطي ألكسيوس كومنين (474-512هـ/ 1081-1118م) من أجل إطلاق سراح بوهيمند، طالب بنصف الفدية التي عرضها

الإمبراطور والمقدرة بمائتان وستون ألف دينار، غير أن الأمير الدانشمندي وعلى الرغم من أنه كان سيحصل على مبلغ يزيد عن المبلغ المقدم من طرف الصليبيين بثلاثين ألف دينار لو وافق على اقتسام فدية البيزنطيين مع السلطان قلج أرسلان، إلا أنه فضّل العرض الصليبي لرغبته في حرمان السلطان من هذه الأموال (أنظر التعليق رقم 11) (Albert D'Aix, 1824: 72-73; Cahen Claude, 1988: 19).

ويتضح من خلال هذه الرواية أن غضب السلطان على الأمير أحمد دانشمند لم يكن بسبب عدم استشارته في قضية إطلاق سراح بوهيمند، وإنما كان بسبب حرمانه من الفدية التي عرضها الإمبراطور البيزنطي ألكسيوس.

وإضافة إلى الرسالة التي أوردناها سابقًا والتي أرسلها السلطان إلى الأمير أحمد دانشمند يعبر فيها عن استيائه من قيام هذا الأخير بإطلاق سراح بوهيمند، عمل كذلك على تحريض الخلافة العباسية في بغداد من جهة والسلطات السلجوقية في فارس من جهة أخرى ضد الدانشمند (Albert D'Aix, 1824: 77)، ونظرًا لعدم إبدائهما لأي ردة فعل قام السلطان قلج أرسلان بإعلان الحرب على الأمير أحمد دانشمند ليكون بذلك إيذانًا بتجدد الصراع بين الطرفين، حيث إلتقى الجيشان الدانشمندي والسلجوقي سنة 496هـ/ 1103م بالقرب من مدينة مرعش، أين جرى بينهما قتال شديد انتهى بانتصار القوات السلجوقية على حساب القوات الدانشمندية (ابن القلانسي، 1908: 143).

ويبدو أن سكوت المصادر – التي توصلنا إليها – عن ذكر أي حادثة وقعت بين الأمير أحمد دانشمند غازي وبين السلطان السلجوقي قلج أرسلان عقب انتهاء تلك المعركة وحتى وفاة الأمير أحمد دانشمند غازي سنة 499هـ/ 1105م (أنظر التعليق رقم 12) لدليل على أن الأجواء قد هدأت بين الطرفين وأنهما رضخا للسلم.

غير أن العلاقات السياسية بين الأمراء الدانشمنديين سواء في سيواس أو في ملطية وبين سلاجقة الروم لم تنقطع بوفاة مؤسس الإمارة، بل استمرت حتى سقوط فرعي الإمارة الدانشمندية في سيواس سنة 570هـ/ 1174م، ثم في ملطية سنة 573هـ/ 1178م (ابن العبري، 1986: 190، 194؛ Michel le Syrien, 1905: 3: 357, 373).

الخاتمة:

لم تسر العلاقات الدانشمندية السلجوقية خلال عهد الأمير أحمد دانشمند غازي وفق وتيرة واحدة بل تقلبت بين السلم تارة والحرب تارة أخرى، حيث كان الطرفان يجنحان للسلم ويتحالفان في الفترات التي تكون فيها الأراضي الإسلامية معرضة لتهديد خارجي (البيزنطيين، الصليبيين ...)، أو عندما يشعر أحد الطرفين أن قوته لا تكفي لمجابهة الطرف الآخر، في حين كانت تتوتر العلاقة بينهما لدرجة المواجهة العسكرية إما لزوال أسباب التحالف، أو نتيجة للأطماع التوسعية ورغبة كل طرف في الإستحواذ على ممتلكات غريمه والإنفراد بحكم الأناضول، خاصة إذا علمنا أن الدانشمنديين كانوا يعتبرون حسب بعض الباحثين

الأتراك أقوى خصوم سلاجقة الروم وأخطرهم (كوبريلي محمد فؤاد، 1967: 49؛ أوزطونا يلماز، 2005: 329).

وفيما يخص مسألة تقديم السلطان قلج أرسلان المساعدة للأمير أحمد دانشمند غازي أثناء هجوم القوات البيزنطية على مدينة سيواس، فمن الممكن أنها لم تكن من أجل المال بل لحماية الإسلام كما صرّح بذلك في رسالته، أما تأخّره في الرد على رسالة الأمير فقد يكون أجّله لما بعد دحر الخطر البيزنطي إما لأن الوقت لم يسعفه لإبداء رأيه من عرض الأمير، أو تفاديًا منه لأي فعل قد يكون سببًا في تعكر الأجواء بينهما فيفشلان في صد الخطر المحدق بديار الإسلام، وذلك حرصًا منه على تقديم المصلحة العليا التي تقتضي ترك الخلافات الشخصية جانبًا والتجند لحماية البلاد الإسلامية.

على الرغم من فشل التحالف الدانشمندي السلجوقي في صد الخطر الصليبي – الحملة الصليبية الأولى – عن البلاد الإسلامية، إلا أنهم تداركوا الموقف وعوّضوا عن ذلك على إثر تمكن الأمير أحمد دانشمند غازي من أسر أمير أنطاكية الصليبي بوهيمند، الذي وصفته المصادر الصليبية والبيزنطية بأنه أشجع الأمراء الصليبيين وأشدهم مكرًا وخديعة، والذي صار اسمه مدعاة للخوف والفزع (Matthieu D'Edesse, 1858: 231; Anna Comnena, 2000: 246)، ثم تفوّق القوات الدانشمندية والسلجوقية على الجيوش الصليبية التي وصلت إلى

الأناضول تواليًا طوال سنة 494هـ/ 1101م من أجل تخليص بوهيمند من الأسر.

التعليقات والشروح:

التعليق رقم 1: هو شمس الدين كمشتكين أحمد دانشمند بن علي، وقيل أن كمشتكين هو اسمه التركي وأحمد هو اسمه الإسلامي (المحيميد علي بن صالح، 1994: 17، 37)، أما لقب دانشمند فهو لفظ فارسي بمعنى عالم أو ذكي أو ماهر، يتألف من مقطعين: "دانش" بمعنى علم، و"مند" بمعنى ذو أو صاحب، وكان يلقب به المدرسون في الدولة السامانية (الباشا حسن، 1989: 287)، وقد أضاف له بعض الباحثين لقب ذو صبغة دينية هو لقب "غازي" وذلك من باب التشريف نظير أداء فريضة الجهاد في سبيل الله، ثم صار لقبًا رسميًا في أسرة الدانشمنديين في الأناضول (كوبريلي محمد فؤاد، 1967: 147)، ولد وعاش في ملطية وقدم منها إلى سيواس أين قام بتأسيس الإمارة الدانشمندية (المحيميد علي بن صالح، 1994: 37).

التعليق رقم 2: معركة وقعت بين السلاجقة الأتراك بقيادة السلطان ألب أرسلان (455-465هـ/ 1063-1072م) وبين البيزنطيين بقيادة الإمبراطور رومانوس الرابع (460-464هـ/ 1067-1071م)، في شهر ذي القعدة من سنة 463هـ/ أغسطس 1071م قرب مدينة مانزيكرت (من أعمال خلاط)، انتهت بانتصار السلاجقة ووقوع الإمبراطور البيزنطي في الأسر، تعتبر من المعارك الفاصلة في التاريخ لأنها أنهت السيادة البيزنطية على الأناضول وفتحت الطريق أمام الأتراك للتوغل فيها وتأسيس دولة سلاجقة الروم على يد سليمان بن قتلمش سنة 470هـ/ 1077م (ابن الجوزي، 1992: 16: 123-128؛ ابن العبري، 1986: 109-112).

التعليق رقم 3: تسمى كذلك بلاد الروم أو آسيا الصغرى، وأصل كلمة الأناضول أو أناطولي يوناني بيزنطي كان يدل على تقسيم إداري في الإمبراطورية البيزنطية،

وهي عبارة عن شبه جزيرة يحدها شمالاً البحر الأسود وغربًا بحر إيجة وجنوبًا البحر الأبيض المتوسط وشرقًا جبال أرمينية، ويقصد بها الأتراك اليوم القسم الآسيوي من تركيا (موستراس س، 2002: 15).

التعليق رقم 4: هو عبد الله أبو الحسين الأنطاكي، نظرًا لكثرة غزواته لبلاد الروم صار له عند أهلها هيبة كبيرة واعتبر بطلاً ملحميًا أسطوريًا، قتل سنة 122هـ في إحدى غزواته لبلاد الروم مع جماعة من المسلمين (ابن الأثير، 1987: 4: 456؛ كوبريلي محمد فؤاد، 2010: 387).

التعليق رقم 5: أو سيسطية، وهي ولاية تركية تقع في شمال بلاد الروم، تحدها شمالاً قسطموني وطرابزون، وشرقًا أرزن الروم ومعمورة العزيز، وجنوبًا حلب وأدرنة، وغربًا أنقرة وقسطموني (طقوش محمد سهيل، 2002، 37).

التعليق رقم 6: كان للإمارة الدانشمندية فرعين: فرع في مدينة سيواس أسسه الأمير أحمد دانشمند غازي سنة 477هـ/ 1085م، وفرع آخر في مدينة ملطية أسسه الأمير عين الدولة بن ملك غازي بن أحمد دانشمند (537-547هـ/ 1143-1152م) عقب توليه حكم المدينة سنة 537هـ/ 1143م وإعلان استقلاله عن إمارة أخيه ياغي بسان في سيواس (ابن العبري، 1986: 118، 155-156؛ Michel le Syrien, 1905: 3: 173, 253).

التعليق رقم 7: محمود بن علي آقسرائي صاحب كتاب: "تاريخ السلاجقة أو مسامرة الأخبار ومسايرة الأخيار"، ألفه في الثلث الأول من القرن الثامن الهجري، أشار فيه إلى بداية ظهور الدانشمنديين وما جرى بينهم وبين سلاجقة الروم من اتصالات مبكرة (المحيميد علي بن صالح، 1994: 6-7).

التعليق رقم 8: هو قلج أرسلان بن سليمان بن قتلمش، تولى حكم الدولة السلجوقية الرومية سنة 485هـ/ 1092م بعد سنوات الفوضى التي أعقبت وفاة والده سنة 479هـ/ 1086م، استولى على الموصل وديار بكر وأعمالها، وقعت بينه وبين جاولي صاحب الموصل حروب كثيرة انتهت بمقتله على يد هذا الأخير سنة

500هـ/ 1107م (القرماني، 1992: 2: 513-514)، وقيل أنه مات غرقًا (ابن الأثير، 2003: 9: 106-107؛ الذهبي، 1985: 2: 379).

التعليق قم 9: بلدة مشهورة من بلاد الروم تتاخم الشام (الحموي، 1977: 192).

التعليق رقم 10: هو بوهيمند أوف تارانتو ابن روبرت جيسكارد، شارك في الحملة الصليبية الأولى، وعيّن كأول حاكم صليبي لإمارة أنطاكية بعد مساهمته في الإستيلاء عليها، وصف بأنه كان "دبلوماسيا حذقًا قوي الحجة وسياسيًا بعيد النظر، ذا شخصية قوية التأثير"، توفي في إيطاليا سنة 1111م (ابن العديم، 1996: 239؛ رانسيمان ستيفن، 1994: 1: 256-263؛ Anna Comnena, 2000: 254).

التعليق رقم 11: فنّد أحد الباحثين المسلمين هذا التفسير، وذكر أن السبب الحقيقي لرفض الأمير أحمد دانشمند غازي العرض البيزنطي هو إدراكه أن تسليم بوهيمند للإمبراطور البيزنطي قد يؤدي بالإمبراطورية إلى انتزاع أنطاكية وقليقية ما يجعلها تطوّق ممتلكات الدانشمنديين والسلاجقة في الأناضول من الغرب والجنوب، الأمر الذي يخدم الهدف البيزنطي العتيد المتمثل في طرد الأتراك المسلمين من المنطقة (الغامدي علي محمد عودة، 1411: 74).

التعليق رقم 12: اختلف المؤرخون في تحديد سنة وفاة الأمير أحمد دانشمند غازي، حيث أشار بعضهم إلى سنة 499هـ/ 1105م (ابن العبري، 1986: 128؛ Matthieu D'Edesse, 1858: 256; Michel le Syrien, 1905: 3: 192)، فيما أشار البعض الآخر إلى سنة 497هـ/ 1104م (Miynat Ali, 2017: 102; Cahen Claude, 1988: 19).

قائمة المراجع:

ـ ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد، (2003)، **الكامل في التاريخ**، مراجعة وتصحيح: محمد يوسف الدقاق، بيروت: دار الكتب العلمية، مج4، 9.

ـ أوزطونا، يلماز (2005)، **المدخل إلى التاريخ التركي**، ترجمة: أرشد الهرمزي، ط1، بيروت: الدار العربية للموسوعات.

ـ الباشا، حسن، (1989)، **الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار**، القاهرة: الدار الفنية للنشر والتوزيع.

ـ ابن الجوزي، أبي الفرج عبد الرحمان بن علي بن محمد، (1992)، **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**، دراسة وتحقيق: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، مراجعة وتصحيح: نعيم زرزور، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، ج16.

ـ الحموي، شهاب الدين ياقوت، (1977)، **معجم البلدان**، بيروت: دار صادر، مج5.

ـ الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، (1985)، **العبر في خبر من غبر**، تحقيق وضبط: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، ج2.

ـ رانسيمان، ستيفن، (1994)، **تاريخ الحملات الصليبية**، ط2، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ج1.

ـ ابن الشحنة، أبو الفضل محمد، (1984)، **الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب**، تقديم: عبد الله محمد الدرويش، سوريا: دار الكتاب العربي.

ـ طقوش، محمد سهيل، (2002)، **تاريخ سلاجقة الروم في آسيا الصغرى**، ط1، بيروت: دار النفائس.

ـ ابن العبري، أبو الفرج جمال الدين، (1986)، **تاريخ الزمان**، ترجمة: الأب إسحاق أرملة، بيروت: دار المشرق.

ـ ابن العديم، كمال الدين أبي القاسم عمر بن أحمد، (1996)، **زبدة الحلب من تاريخ حلب**، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية.

ـ العظيمي، محمد بن علي، (1984)، **تاريخ حلب**، تحقيق وتقديم: ابراهيم زعرور، دمشق: (دون دار نشر).

ـ الغامدي، علي محمد عودة، (1411)، **المجاهد المسلم كمشتكين بن دانشمند**، تقديم: سفر بن عبد الرحمان الحوالي، ط1، الطائف: مكتبة الصديق.

ـ القرماني، أحمد بن يوسف، (1992)، **أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ**، دراسة وتحقيق: أحمد حطيط وفهمي سعد، ط1، بيروت: عالم الكتب، مج2.

ـ ابن القلانسي، أبي يعلى حمزة، (1908)، **ذيل تاريخ دمشق**، بيروت: مطبعة الآباء اليسوعيين.

ـ كوبريلي، محمد فؤاد، (2010)، **تاريخ الأدب التركي**، ترجمة: عبد الله أحمد ابراهيم الغرب، مراجعة: الصفصافي أحمد القطوري، ط1، القاهرة: المركز القومي للترجمة.

ـ كويريلي، محمد فؤاد، (1967)، **قيام الدولة العثمانية**، ترجمة: أحمد السعيد سليمان، تقديم: أحمد عزت عبد الكريم، لبنان: دار الكاتب العربي للطباعة والنشر.

ـ لسترنج، كي، (1985)، **بلدان الخلافة الشرقية**، ترجمة: بشير فرنسيس وكوركيس عواد، ط2، بيروت: مؤسسة الرسالة.

ـ مؤلف مجهول، (2007)، **أخبار سلاجقة الروم: مختصر سلجوقنامه**، ترجمة وتقديم: محمد السعيد جمال الدين، القاهرة: المركز القومي للترجمة.

ـ المحيميد، علي بن صالح، (1994)، **الدانشمنديون وجهادهم في بلاد الأناضول**، ط1، الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة.

ـ موستراس، س، (2002)، **المعجم الجغرافي للإمبراطورية العثمانية**، ترجمة وتعليق: عصام محمد الشحادات، ط1، ليماسول: الجفان والجابي للطباعة والنشر، بيروت: دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع.

ALBERT D'AIX. (1824). Histoire des Croisades. Dans (Guizot M.). Collection des mémoires relatifs a l'histoire de France, Depuis la fondation de la monarchie Française jusqu'au 13e siècle. Paris: J.-L.-J. Brière, Libraire.

COMNENA ANNA. (2000). The Alexiad. Translated by: Elizabeth A. S. Dawes. Cambridge, Ontario: Parentheses publications Bizantine series.

CAHEN CLAUDE. (1988). La Turquie Pré-Ottomane. Istanbul: Istanbul Matbaasi.

FOULCHER DE CHARTRES. (1825). Histoire des Croisades. Dans (Guizot M.). Collection des mémoires relatifs a l'histoire de France, Depuis la fondation de la monarchie Française jusqu'au 13e siècle. Paris: J.-L.-J. Brière, Libraire.

GROUSSET RENE. (1934). Histoire des Croisades et du royaume Franc de Jérusalem. Paris: Librairie Plon. Tome 1.

MATHIEU D'EDESSE. (1858). Chronique de Mathieu D'Edesse. Dans (Dulaurier Edouard). Bibliothèque Historique Arménienne. Paris: A. Durand, Libraire.

MELIKOFF IRENE. (1960). La Geste de Melik Danismend. Paris: Librairie Adrien Maisonneuve. Tome 1.

MICHEL LE SYRIEN. (1905). Chronique de Michel le Syrien. Traduite en français par: J. B. Chabot. Paris: Ernest leroux, éditeur. Tome 3.

MIYNAT ALI. (2017). Cultural and socio-economic relations between the Turkmen states and the Byzantine empire and West with a corpus of the Turkmen coins in the barber institute coin collection. Doctoral thesis (Published). University of Birmingham. Royaume-Uni.

NIKETAS CHONIATES. (1984). O City of Byzantium, Annals of Niketas Choniates. Translated by: Harry J. Magoulias. Detroit: Wayne State University Press.

RAYMOND D'AGILES. (1824). Histoire des Francs qui ont pris Jérusalem. Dans (Guizot M.). Collection des mémoires relatifs a l'histoire de France, Depuis la fondation de la monarchie Française jusqu'au 13e siècle. Paris: J.-L.-J. Brière, Libraire.